مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

السنة الأولى

الرقم الدولي
٩٣٠٨ - ٢٣٠٤

العدد ٣

الرقم الدولي
٩٣٠٨ - ٢٣٠٤

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/ العراق
السنة الأولى، العدد (٣)
(مُحرّم/ صفر ١٤٣٨هـ، تشرين الثاني ٢٠١٦م)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم العلمي
قسم التعليم الاهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الكتاب : ج ه/ ٦٤٨٧
التاريخ / ٨ /١١/ ٢٠١٢

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

تحية طيبة...

الحاقا بكتابنا المرقم ج ه/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشان الفقرة (١/١٠/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجلات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير (www.rddiraq.com)

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.

المحاسب القانوني
حيدر محمد درويش
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقويم العلمي
٢٠١٢/١١/١٤

نسخة منه الى//
- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع..مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مذكرتكم ب ت م٤/١٠٥٤٣ في ٢٠١٢/١١/٨...مع التقدير .
- ✓ جهاز الإشراف والتقويم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاوليات.
- ✓ الصادرة .

البريد الالكتروني: mhesses @ yahoo.com

رَئِيسُ التَّحْرِيرِ

أ.د. سعد حمد عبد اللطيف

مُدِيرُ التَّحْرِيرِ

أ.م.د. خالد كاظم حميدي

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة

أ.م.د. سعدية كريم الخواجة

أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي

أ.م.د. عبد الله شاكر الشيباني

التَّصْحِيحُ اللُّغَوِيُّ

د. هاشم جبار الزرفي

الإِشْرَافُ الفَنِّيُّ

السيدة فاطمة محمد صاحب

الإِدَارَةُ المَالِيَّةُ

السيد رائد جاسم محمد

اللجنة الاستشارية

أ.د.حسن عيسى الحكيم:رئيس جامعة الكوفة سابقا/العراق.

أ.د.زهير غازي زاهد:الكلية الإسلامية ـ النجف الأشرف/العراق.

أ.د.سعد عبد العزيز مصلوح:جامعة الكويت/الكويت.

أ.د.عبد القادر فيدوح:جامعة قطر/قطر.

أ.د.حبيب مونسي: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس/الجزائر.

أ.د.حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.بشرى البستاني: جامعة الموصل/العراق.

أ.د.أحمد رشراش: جامعة طرابلس/ليبيا.

أ.د.سرور طالبي المل: رئيس مركز جيل البحث العلمي/لبنان.

أ.د.هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

تسعى مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة إلى التماس خطٍّ تطوريّ بانتقالها من الشعور بوجود مشاكل فكرية إلى الشروع في حلّها، وهو فحوى البحث العلمي،عن طريق التفكير في إيجاد وسائل بحث جديدة لحلّ مشكلات الثقافة العربية الإسلامية، ومنها مشكلة تجديد العلوم العربية القديمة ونقدها بدلا من اجترارها الذي لا يواكب روح العصر وتعقيداته.

إنّ هذه المعطيات هي بحاجة ماسة إلى تضافر الجهود المخلصة عن طريق إثارة الأسئلة واتخاذ الشك العلمي منهجا في التعامل مع العلوم القديمة والعلوم الغربية الوافدة على حدٍّ سواء، ذلك أنّ الركون إلى القديم المألوف وإنْ كان مريحا لا يُسبب لنا الإجهاد إلا أنّه لا يدفع العلم إلى الأمام، أما التزام الوافد بحجة التحديث من دون انتقاء ما ينفعنا بما يلائم ثقافتنا ويُجيب عن أسئلتنا فإنّه يُسبب لنا الفوضى الفكرية المفضية إلى الضياع، ولاسيما مع عدم وجود نظرية ترجمة عربية.

لذلك تفتح مجلة الشيخ الطوسي الجامعة أبوابها أمام الباحثين الذين يؤمنون بأهمية النقد والتجديد والبحث عن البدائل.

أملنا كبير بالأقلام الحرّة التي شجعتنا على ملاحظة خطّ تطور هذا العدد بالقياس إلى العددين السابقين من حيث اتساع صيت المجلة جغرافيا وتنوّع موضوعاتها التي تصدَّت لبعض قضايا العصر.

مدير التحرير

مفهوم الرواية متعددة الأصوات
دراسة في معطيات باختين

إيمان مليكي
جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة/الجزائر

مفهوم الرواية متعددة الأصوات
دراسة في معطيات باختين

إيمان مليكي
جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة/الجزائر

ملخص:

الرواية هي الجنس الأدبي الأكثر انفتاحا على الخطابات الأخرى، نجدها تستحضرها وتتفاعل معها وتنسجم وإياها، فيسمح هذا التنوع للنصوص وإفادتها من جميع الأجناس المجاورة لها القديمة والحديثة بتحقيقها للشمولية، عن طريق جعلها في موضع حوار وصراع دائمين، ويبقى دور الكاتب هو تنضيد اللغات الحاضرة في متنه الروائي، فلا تكون لغته ورؤيته إلا واحدة من بين كل تلك الرؤى داخل الكتابة الروائية، وهذا ما يسهم في تعدد اللسان والصوت داخل الرواية، وعرض للحقيقة الواحدة من منظورات متعددة ومختلفة بحيث تلبّي جميع أذواق القراء، انطلاقا من أنّ المتلقي يجد ضمن هذا التعدد ما يلبي ميولاته، وكذلك فإنَّ الرواية الحوارية تتضمن العديد من اللهجات الاجتماعية التي تدرجها من أجل بنائها الفني عبر طرائق متعددة منها التهجين، والأسلبة والحوار، وهذا ما جعل ميخائيل باختين يُعلي من شأنها على حساب نظيرتها المونولوجية، على أساس أن الكون بأكمله قائم على الحوار.

Abstract:

The novel is the literary genre, which is open to the other speeches, and so when you enter in her and interact with her.

And the novel when the benefit of all the ancient texts and modern so-called check: authoritarian, as they engage in dialogue and grappling with it as well.

The writer of the novel role is to regulate these languages within the novel so that the language one among all those visions within the narrative text, and results from all of this: the multiplicity of the tongue and voice within the novel. Exposure single idea in several ways, and this is what pleases tendencies all readers.

Novel and talk shows where many social languages that expressed by: hybridization and stylization and dialogue, and therefore, "Mikhail Bakhtin" raises the profile of the novel talk shows and favored by the novel monologue, on the grounds that the entire universe is based on dialogue.

تمهيد:

العمل الروائي هو أقرب منحى للوصول إلى المرجع الواقعي لرصده وللأخذ منه، ودمج تصوراته ضمن التخيّلات السردية بشكل فني، فالرواية تتكيف مع المجتمع وحياة الأفراد، بخاصة عن طريق حضور سجلات الكلام المتعددة التي تُظهر الفوارق الاجتماعية عن طريق اللغة ،إذ لكل طبقة اجتماعية حوارها وطريقتها الخاصة في التعبير، وكذلك لها معجمها ونبرتها الخاصين، وأنَّ المتكلم في الرواية له القدرة على تغيير لغته على وفق المقام الذي يوضع فيه.

فالرواية هي المجال الرحب لتجسيد الحوار، بإحالتها على أفكار معينة تستقيها من الواقع، فتجعلها تتجدد وتولد مرة أخرى مع أشكال الوعي المتعددة داخل المجتمع الروائي، التي تكتسب أهميتها وجماليتها من الاختلاف الذي لا تعني به التنافر، بل العامل الأساس لمحاولة تحقيق الانسجام والتكامل، وعكس الواقع بجميع مظاهره.

بنية الرواية الحوارية لها القدرة على الجمع، والتنسيق، والتفاعل ومن ثم التلاحم بين الخطابات، وأيضا تعدد الأساليب والرؤى، والتعبير عن الواقع بفنية، بحيث تُصبح لغة الكاتب واحدة من بين لغات شخصياتها، وكذلك اعتمادها طرائق مختلفة للقول بالخطاب.

وفي هذا السياق نجد أن التساؤل المطروح في هذا المقال:

ما أهم مفاهيم الحوارية في الرواية التي جاء بها باختين ؟ وكيف تتصارع الأيديولوجيات وأنماط الوعي المختلفة؟ وكيف تتفاعل الخطابات وتتحاور؟ وكيف تتعدد الرؤى والأصوات داخل الرواية الحوارية ؟ وهل يمكن تطبيق فكرة أجنبية على نصوص عربية ؟، وإذا كان الرد إيجابيا في ما تكمن أهمية هذا العمل؟.

العرض:

أولا: الأيديولوجية المتعددة والانفتاح على الأجناس التعبيرية:

عمّم ميخائيل باختين الحوارية على الكون كله، ففي نظره أن الكون بأكمله قائم على الحوار، ويقصد من ذلك أن كل شيء له حضور أولي من قبل، وهذا الحضور هو ما يسمّيه بالنماذج الأولية، أي الأنموذج الأصل، وباقي الأشياء هي إعادة خلق لهذا الأصل عن طريق التفاعل معه، وبهذه الطريقة تنشأ العلاقة الحوارية، عن طريق محاكاة الآخر إما بالتشابه، أو التطابق، أو المفارقة.

فنجد أنَّ للفكرة مثلا ـ في نظر باختين ـ تاريخا عريقا، فهي كالسلسلة الطويلة التي إذا نظرنا إلى الحلقة الواحدة منها وجدناها على علاقة مع باقي الحلقات : إمّا أنها تطابقها في الصفات، أو تشابهها في بعضها ،أو أنها تفارقها الشبه، لكن على الرغم من هذا تظلّ في اتصال معها، وترد جميعها إلى الحلقة الأولى.

هذا يعني أنَّ كلَّ الأفكار هي محاكاة للفكرة الأم/ الأنموذج الأولي، التي يصعب علينا - في نظر باختين- في أحايين كثيرة الوصول إليها.

إن الحديث عن حوارية الفكرة هو ما جعل باختين يُركز عنايته على ماهية الأيديولوجية، لفهم المقولة الحوارية كلها، والمقولة الحوارية في النص الروائي بخاصة؛ لأنَّ الأدب من منظور باختين ما هو إلا إعادة إنتاج الواقع المعيش من جديد.

ما يهمّنا في هذا الشأن هو حوارية الرواية؛ لذلك سنحاول فهم الأيديولوجية في الفكر الباختيني حتى يتسنى فهم فكرة الحوارية في الرواية.

مفهوم الأيديولوجية عميق متشعب تضرب جذوره حتى الفلسفة اليونانية، وتصل أغصانه إلى عصر النهضة الغربية والعصر الحديث.

هذا ما جعل الباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية يقرّون بعدم وجود تعريف دقيق له، شأنه شأن كثير من المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

يقول عبد الله العروي في (مفهوم الأيديولوجيا) بأنه: مصطلح مشكل يجب استعماله بحذر، بل يتحتم الاستغناء عنه في أكثر الحالات؛ لأنه مفهوم غير بريء، يحمل في طياته اختيارات فكرية يجب الوعي بها لكي لا يتناقض صريح الكلام مع مدلوله الضمني، وهو مفهوم قد يصلح أداة للتحليل

السياسي، والاجتماعي، والسياسي، لكن بعد عملية فرز وتجريد لكي يبقى كل باحث وفيا لمنهج المادة التي يبحث فيها[1].

أمّا في الفكر الباختيني فتعرف الأيديولوجية عن طريق الفعل الكلامي الذي يكون نتاجا لاصطدام الفكرة بالفكرة الأخرى، وهذا ما يسمح بتعدد الأفكار، وينتج عنه التطور المستمر للعلامات الاجتماعية عموما، والوعي الفردي بخاصة.

وهنا نجد باختين يساوي مفهوم العلامة اللغوية مع مفهوم العلامة الأيديولوجية، أي أنه علاوة على أن اللغة أنساق مركبة، فهي في الوقت نفسه أيديولوجيا، انطلاقا من أنَّ الأخيرة ما هي إلا لغة وممارسة كلامية للوعي الفردي، تتصادم في ساحتها أفكار عدة، تسمح بتطورها المستمر كل بحسب وضعياته الاقتصادية والطبقية للفئات.

يؤكد باختين في كتابه (الماركسية وفلسفة اللغة) العلاقة المتينة بين اللغة، والأيديولوجية، انطلاقا من أن الوجود الاجتماعي ينجز أشكالا مختلفة للوعي، ويخضع في أساسه إلى طبيعة الوجود الفعلي للأفراد بوضعياتهم الاقتصادية، والاجتماعية. فطبيعة التواصل الإنساني تجعل اللغة تشتغل بوصفها مجموعة من الأدلة المشبعة بنظرات، وتصورات الفئات، والطبقات الاجتماعية، وتعبيرا عن رؤاهم الفكرية، وبذلك تتخلى اللغة عن شفافيتها، وحيادها لتتشكل وتتلون على وفق النزعة الاجتماعية التي توظفها[2].

هذا يعني أن اللغة هي أحد التعابير المشخصة للأيديولوجية، ففي اللغة تتقاطع الحمولات الأيديولوجية للكلمات، وخلو الكلمة من فحواها الأيديولوجي يعني تجريدها من دلالتها الرامزة للوعي الفردي داخل المجتمع.

يقول باختين: "لابد من تحليل عميق وجاد للكلمة كدليل مجتمعي، حتى يمكن فهم اشتغالها كأداة للوعي، وتستطيع الكلمة بفعل هذا الدور الاستثنائي

الـذي تؤديـه كـأداة للـوعي أن تشـغل كعنصـر أساسـي مرافـق لكـل إبـداع أيديولوجي. إن الكلمة تصحب كل فعل أيديولوجي وتعلق عليه"[٣].

نفهـم أن بـاختين يـولي عنايـةً كـبيرةً للغـة، بوصـفها الكاشـف عـن الأيديولوجية وتتبدى عن طريق الفعل الكلامي الذي يعبر عن الوعي الخاص به.

يناقش باختين في كتابه (شعرية دوستويفسكي) كيف يعمل المؤلف في الاعمال الادبية على بناء ترسيمة يستطيع عن طريقها الكشف الفكرة عن طريق امتلاء الوعي الذاتي للبطل، فهذا الوعي يتطلب" بوصفه فكرة فنية سائدة في بناء صورة البطل، تكوين جو فني من النوع القادر على أنْ يتيح المجال لكلمته أنْ تكشف عن نفسها، وأنْ تفصح عن ذاتها"[٤].

بدءًا يُعرّض البطل للألم لمعرفة مدى استطاعته فهم ذاته، ثم يقوم بتشديد الألم عليه، ويؤزم الأحداث؛ لأن هذا ضمن خطته، بغية استنطاقه ومعرفة كلمته الأيديولوجية المتعايشة مع الكلمات الأخرى داخل المجتمع الروائي، هنا أيضا يجعل من البطل عالما بكل شيء، وعدم احتفاظ المؤلف لنفسه بأي خزين معلوماتي هو من خطته؛ لأنَّ البعد الحواري يجعل منه شخصية ـ شخصية المؤلف ـ مدرجة بجانب الشخصيات الأخرى التي تدخل في الحوار الكبير للرواية وعلى قدم المساواة معها. " إنَّ وعي المؤلف لا يحوّل أشكال الوعي الأخرى عند الآخرين (أي وعي الأبطال) إلى موضوعات ولا يمنحها تحديدات منجزة ومعدة بمعزل عنهم (غيابيا). إنَّ هذا النوع من الوعي يُشعر بوجود أشكال وعي لآخرين تقف إلى جانبه على قدم المساواة، وهي تشبهه في كونها غير نهائية وغير منجزة مثله تماما. إنَّ هذا الوعي يعكس ويعيد خلق لا عالم الأشياء ذات الوجود الموضوعي، بل يعكس ويعيد خلق، بالضبط، هذه الأشكال من الوعي عند الآخرين مع عوالمها الخاصة بها، يُعيد

خلقها مع المحافظة على عدم إنجازيتها الحقيقية؛ (ذلك أن جوهرها في هذه النقطة بالذات)[٥].

يجري في هذه الخطة أيضا أن الحياة الحقيقية للبطل تتحقق تقريبا من زاوية هذا النوع من عدم تطابق الإنسان مع نفسه بالذات، من زاوية تجاوزه لحدود كل ما يشكل وجوده المادي، هذا الوجود الذي يمكن أن يتقرر ويتحدد ويجري تعيينه مسبقا بمعزل عن إرادته وغيابيا، وهو أن يفهم تماما الحالة اللاإنجازية التي يُعاني منها عالمه الداخلي، ويقصد باختين باللاإنجازية أنَّه على الرغم من امتلاء الوعي الذاتي عند البطل ومعرفته الكاملة بعالمه فإنه يعجز عن تحقيق رغباته في الأخير؛ لأنه لا يتوافق مع نفسه ولا يستطيع تحقيق أهدافه ومكنوناته، وهو واعٍ أيضا بعدم قدرته هذه، وقد خطّ له هذه الحال حتى لا يحدّ من اجتهاداته، ويبقى في حوار دائم مع نفسه "كشخص ثان"؛ لأن الحوارية من منظوره لا يحدّها حد ولا نهاية لها، وهنا تكمن أيضا فكرة "اللانهائية" التي يقول بها، التي تتسم بها الرواية البوليفونية. ففي منظور باختين هي رفض لنقطة النهاية، فجميع كلمات وصور الخطاب الروائي تعيش في عالم مفتوح ومنفتح بلا انقطاع، وكل الرموز الدالة عليه لا تعرف الكمال؛ لأنه ما يبدو لنا نهائيا فهو بداية جديدة ومستمرة، وهذا ما يصبغ عليه طابع النسبية.

لكن هذه الحالة لم تمنع البطل من مواجهة التأزم وتحطيم الكلمات الغيرية عنه، فمحاولة تحطيمه للكلمة الغيرية هي أيضا من خطَّة المؤلف، وكثيرا ما يكون الرد بأسلوب السخرية، لكي يثبت للمتلقي أن بطله على وعي بذاته وفي اجتهاد متواصل، إذ إنه من العوامل التي تسهم في امتلاء الوعي الذاتي للبطل، وتعمل على خلق العلاقة الحوارية في الرواية، هو معرفة البطل بأنواع الوعي الأخرى المحيطة به، بمختلف تنوعاتهم الفكرية، لهذا فالمؤلف يجعله يعيش في عالم مفتوح يتواصل ويتحاور مع الآخرين؛ لأن وعي شخصه

يتداخل مع وعي الشخصية الأخرى، وينفعلان مع بعضهما بعضا، لذا نراه يحدد أفعاله عن طريق الآراء الغيرية عنه.

المؤلف في خطته لا يقتل البطل، وإنما يعرضه للآلام الحادة المتوالية، من أجل معرفة مدى وعيه بنفسه وبغية استنطاق كلمته الأيديولوجية؛ لأنه لو قتله لوضع له نهاية، وهذا ما يتنافى والرواية الحوارية لأنها تنادي باللانهائية الحوارية على جميع مستوياتها الفنية.

ومن خطته أنْ يجعل لبطله "نفاذ البصيرة ، أو المحلل الدقيق للأزمات الاجتماعية، ويملّكه قدرات وكفاءات تجعله على تهيء لأنْ يسهم في وسطه، فيستطيع الرد بجرأة وعنف في أحايين كثيرة، ولا يحتم أن يكون على صواب دائما، فالمؤلف يعرض بطله عن قصد للخطأ والتصادم مع غيره لكي يتمّ التحاور.

إذا فالبطل في علاقة حوارية مع نفسه وغيره، ومع المؤلف أيضا، وتكون كلمة هذا الأخير متجهة دائما نحو البطل تحاور وعيه وشخصه، وتبقيها دائما ملكا له فهو قائلها ومنجزها وواعيها.

لا يلغي باختين أي دور للفرد في عملية الابتكار والمساهمة في بلورة الوعي، بل على العكس من ذلك، فإن الفرد عن طريق الكلمة يؤسس ذاته بواسطة وجهات نظر الآخرين. يقول البطل : إنني داخل الكلمة أشكّل ذاتي عن طريق وجهات نظر الآخرين، وفي نهاية المطاف، فإنني أشكل ذاتي من وجهة نظر الجماعة؛ لأن الوعي الفردي نفسه لا يخلق في ذهن الفرد -حسب باختين- بل في مسار التواصل الاجتماعي لمجموعة بشرية منظمة، فالوعي ينشأ فقط في اللحظة التي يحتك فيها الفرد بالجماعة، وأن كون الوعي الفردي عند باختين لا يتشكل إلا داخل وبالوعي الجماعي، هو ما جعله يتبنى نظرة خاصة للنص الروائي"(٦).

وفي إطار عنايته باللغة المعبرة عن الأيديولوجية، يؤكد أن الكلمة هي أداة للوعي تعبّر عن الفعل الأيديولوجي وبخاصة العلاقات الاجتماعية، هذا يعني أنه لكي نفهم البنية الأدبية للرواية، لا بدّ من الاعتماد على لغتها بالدرجة الأولى لأنها تستعمل الكلمة أداةً لتجسيد الموقف الاجتماعي.

استطاع باختين أن يحدد مفهوم البنية تحديدا دقيقا، فعن السؤال: ما طبيعة البنية الأدبية؟ [ويقصد بنية الرواية] يجيب: بأن هذه الطبيعة اجتماعية انطلاقا من أن المظهر اللساني للأدب هو في الوقت نفسه مظهر اجتماعي. وهذه النقطة بالذات يوضحها بشكل دقيق في كتابه (الماركسية وفلسفة اللغة) ولاسيّما عندما يتحدث عن علاقة الدليل اللغوي بالمدلول الاجتماعي، يقول: "كل ما هو أيديولوجي يملك مرجعا ويحيلنا على شيء ما له موقع خارج عن موقعه، وبعبارة أخرى، فكل ما هو أيديولوجي هو في الوقت نفسه بمثابة دليل"(٧).

إذاً المظهر اللساني هو امتداد للطبيعة الاجتماعية، وهنا يتفاعل الكل مع بعضه بعضا رافضا الانقسام، وكذلك يرفض ميخائيل باختين قانون السببية، الذي يقول إنَّ المظهر اللساني هو البنية الفوقية التي تسببها الطبيعة الاجتماعية بوصفها بنية تحتية؛ لذا يؤكد بأنه عند مقاربة الرواية لا بد من اعتماد القسط بين ما هو جمالي فني، وما هو أيديولوجي، أي أنه لكي يكون تحليل الخطاب سليما صائبا لا بد من دراسة الجانب الأيديولوجي، والخصائص الأسلوبية الفنية كليهما معا؛ "لذلك فعندما نحلل رواية (بوصفها تركيبة من الدلائل) فنحن في الوقت نفسه نتعامل مباشرة مع الواقع الاجتماعي والثقافي والأيديولوجي، ولسنا في حاجة إلى أن نقيم علاقة تناظر بين عالم الرواية والواقع -كما يذهب إليه غولدمان-؛ لأن الرواية هي الواقع أيضا"(٨)، وهذا ما يذهب إليه باختين وفيه إشارة أولية إلى بعض المفاهيم التي تخلق الحوارية الروائية، أي إشارة إلى الجانب الإيديولوجي، والخصائص الأسلوبية الفنية.

وكذلك رفض باختين في موضوع آخر الرأي القائل بوجود هوة عميقة بين النفسية والأيديولوجية، يستحيل عبورها. وهو يرى أن التركيبة الجدلية الحية للنفسي والأيديولوجي، وللحياة الداخلية والخارجية، تتحدد باستمرار في كل حديث أو قول، ويدعم تصوره هذا بالقول إنه بهذه الكيفية تتبادل النفسية والأيديولوجية التأثير فيما بينها، والتفاعل ضمن الصيرورة الوحيدة الموضوعية في صيرورة العلاقات المجتمعية. بل إن باختين يعمق في دراساته اللغوية والنقدية مفهومه هذا عن دور الأيديولوجيات، حتى ليذهب إلى القول إنَّ الكلمة هي الظاهرة الأيديولوجية، كان يجب أن يستمد منذ مدة من القيمة النموذجية البراهين الكافية لوضع الكلمة موضع الصدارة في دراسة الأيديولوجيات، ففي الكلمة بالضبط تتجلى الأشكال القاعدية والأشكال الأيديولوجية العامة على أحسن وجه(٩).

نفهم أن باختين لم يستبعد الجانب النفسي؛ لأنَّ الكلمة تُعبّر عن الأيديولوجيا في مظهرها الخارجي، وتعيش صراعات نفسية داخليا، يتجلى ذلك في كل قول أو حوار، وهذا ما يضمن لها الصيرورة الاجتماعية.

وهو ما عمل به حين مقاربته الأعمال الروائية لـ "دوستويفسكي"، إذ اعتنى كثيرا بالجانب النفسي في تحليلاته، بل وجعل الوضعية النفسية في كثير من الأحيان قاعدة انطلاق تساعده على فهم ومعالجة الأعمال الروائية ومقاربتها على وفق المقولة الحوارية. هنا إشارة أخرى إلى إحدى مفاهيم التحليل في الرواية الحوارية، وهو الجانب النفسي، الذي قال عنه باختين أن بنيته تتشكل على وفق الواقع المحيط به، وأن هذا الواقع المعيش الذي يخلقه يؤثر فيه بقدر ما يتأثر به، ومن ثَمَّ تبرز عدة عينات إيديولوجية حاملة لوعيها الخاص، ومعبّرة عن اتجاهاتها الفكرية داخل الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه.

استبعد باختين الحديث عن الأيديولوجية الخاصة، ووجه الدراسة النقدية للبحث عن الأيديولوجية في الرواية بدل تصنيفها في خانة أيديولوجية محددة، وذلك ليبين اكتناز النص الحواري بالدلالات العميقة حين تنفتح على الخطابات الأخرى، فتتعدد الأصوات وبهذا تستقبل الرواية الديالوجية لذاكرة بشرية مختلفة ومتحاورة مع بعضها بعضاً.

تتخلل الرواية الحوارية أجناس تعبيرية تنصهر مع طرائق السرد فيها، من سرد ووصف وحوار، وتلتحم مع الشخصيات والفضاءات والأزمنة، وتنفتح على سياق النص، فتمنحه الوعي اللساني والحس الخاص به في ما يرجع لحدوده التاريخية والاجتماعية بل والجذرية.

ألّفتْ الأجناس الأدبية عنايةً بالغة في فكر باختين وسلّم بعدم اكتمالها وانفتاحها على الأجناس الأخرى المتاخمة لها أو التي تتشكل وتنمو بعيدة عنها أحيانا لكنها تدخل في حوار معلن أو خفي معها على مستوى الشكل أم المضمون.

يذكر باختين أن: "الجنس الأدبي هو دائما نفس الجنس وآخر : جديد وقديم في الوقت نفسه، فهو يولد مرة ثانية ويتجدد في كل مرحلة من مراحل التطور الأدبي، وفي كل عمل فردي. إن الجنس الأدبي يحيا في الحاضر، ولكنه يتذكر ماضيه وأصله، فهو يمثل الذاكرة الفنية عن طريق صيرورة التطور الأدبي، ولهذا يبدو مهيئا لضمان وحدة واستمرارية هذا التطور"(١٠).

فالرواية تستعير معرفتها من المعارف الأخرى، فتجمع القديم والحديث وتربط بينهما في تفاعل حي ومستمر، فالنص الأدبي في نظر باختين متعدد المناهل، ومنفتح على غيره من النصوص، يعالجها ويحللها في علاقة حوارية، والتي ينعتها بمسميات عدة علاقة تفاعل، علاقة انفتاح، علاقة صراع، علاقة تبادل إلخ ،فكلها تفضي إلى تعدد الفكرية الثقافية وعلى وفق أساليب متعددة

أيضا وهنا تكمن أهميتها في قدرتها على التعبير عن قضية واحدة بمنظورات متعددة وبذلك تحقق مبدأ الشمولية وهي في هذا رافضة للمطلق قائلة باللانهائية والتجدد المستمر. حدثنا ميخائيل باختين عن المنظورات الأدبية ويقصد بها الأجناس التعبيرية المتخللة في النص الروائي سواء أكانت أدبية ومنها أدب الرحلة، والخبر، والأدب الشعبي إلخ، أم غير أدبية ومنها التاريخ والتراث الديني إلخ، فقال إنها فضلا عن تعددها وتفاعلها فإن لها مآرب وأهدافا تقصدها، " فيمكن للأجناس المتخللة أن تكون مباشرة قصدية أو موضعة كليا، أي متجردة تماما من نوايا الكاتب فلا تكون في صيغة قول بل مظهرة كأنها شيء بواسطة خطاب، لكن غالبا ما تعتمد تلك الأجناس بدرجة متنوعة إلى كسر نوايا الكاتب وحرفها وبعض عناصرها قد تبتعد بكيفية مختلفة عن المستوى الدلالي الأخير للعمل الروائي"[١١].

إذاً إما أنها قصدية تعبّر مباشرة عن نوايا الكاتب الذي أدرجها من دون سوء نية، أو تأتي مجردة وتعمل على كسر نوايا الكاتب المرجعي ويبقى كاتب الرواية معارضا لدلالتها ساخرا من فكرتها.

ثانياً: صورة اللغة:

فرَّق باختين بين الرواية الحوارية والرواية المونولوجية، وعُني بالأولى، وضبط قواعدها، وطرق مقاربتها.

في حين نظر النقد البلاغي التقليدي من زاوية واحدة في تعامله مع الفن الروائي بوصفه خاضعا لمؤلفه الذي تعود إليه العصمة في تحريك الأحداث والشخصيات. هذه النظرة التي ولدت من زاوية أحادية، كون مؤلف الرواية فردا له وعي مفرد نفهمه عن طريق عمله، وعن طريق أقوال الشخصيات التي يدفعها للإدلاء بصوته الوحيد، "نجده الآن قد أظهر عجزه التام عن فهم طبيعة تكوين الرواية؛ ذلك أن الكاتب نفسه لا يظهر عن طريق عمله الذي أبدعه

بنفسه، إلا بوصفه صوتا واحدا من الأصوات المتحاورة، وإذا أردنا أن نبحث عن موقفه الخاص علينا أن نتجاوز مستوى الأساليب الفردية إلى "أسلوب" من نوع آخر، وهو الذي يعمل على تنظيم المواجهة بين تلك الأساليب نفسها. إنه حوار الرؤى والمفاهيم المتولدة عنها"[١٢].

لذا جاء مفهوم الحوارية ردا على الأسلوبية التقليدية، التي نادت بأن الأسلوب هو الرجل نفسه، يقول باختين: "الأسلوب هو الرجل، ولكن باستطاعتنا القول: إن الأسلوب هو رجلان، على الأقل أو بدقة أكثر، الرجل ومجموعته الاجتماعية مجسدين عبر الممثل المفوض، المستمع، الذي يشارك بفعالية في الكلام الداخلي والخارجي للأول"[١٣].

هذا يعني أنه لا بدّ من توافر فاعلين على الأقل حتى ينشأ "خطاب" ومن ثَمَّ تتجسد العلاقات الحوارية، إذ "لا يوجد تعبير لا تربطه علاقة بتعبيرات أخرى، وهذه العلاقة جوهرية تماما ولذا فإن النظرية العامة للتعبير هي في منظور باختين، انعطافة لا يمكن تفاديها كي نصل إلى دراسة هذا المظهر من مظاهر المسألة، والمصطلح الذي يستعمله للدلالة على العلاقة بين أي تعبير والتعبيرات الأخرى هو مصطلح الحوارية"[١٤].

تظهر الحوارية[١٥] أكثر ما تظهر في الخطاب الروائي؛ لأن "الرواية تقوم على تعددية الأصوات وتعددية اللغات بسبب التنوع الكبير في الشخصيات. إنَّ الرواية تجمع الخطابات المختلفة، وتضعها في علاقة مواجهة، وتجعلها تتعايش، وتتحاور، وتتعامل مع بعضها بعضا، ومن ثَمَّ فإن الرواية لا تقوم على تأكيد الخطاب المتسلط، بل على العكس من ذلك تقوم على الحوار الذي ينشأ بين الأصوات المختلفة"[١٦].

في هذا الواقع يتجلى حوار الرؤى والأفكار للوعي الفردي، والمؤلف هو واحد من تلك الشخصيات المدلية بأسلوبها، وأفكارها، وهو في تواصل

مستمر مع الوعي الآخر، يصله ويحاوره، ويستحضره داخل صوته؛ لأنه كما قال باختين أن الأسلوب هو رجلان، أي الرجل ومجموعته الاجتماعية.

ولكي نوضح أكثر نقول إنَّه في القول أو الخطاب الواحد نجد على الأقل صوتين تحاورا وانفعلا مع بعضهما بعضا، وبعدها اندمجا في صوت واحد، وهو الصوت الذي يتجلى في صيغة قول أو خطاب. ذلك ما يسمّيه باختين بالكلمة المزدوجة والصوت الذي يسهم في بناء الرواية الحوارية، بحيث لا وجود للصوت المتسلط - صوت المؤلف- بل تشتمل تعددية صوتية كل في اتصال ويحاور بعضه بعضا.

يُنشئ باختين نظرية الرواية على نظرية اللغة الحوارية، وما يقول به متوقع منذ أن رأى في الرواية صورة عن اللغة ورأى في اللغة صورة حوار لا ينقطع. تأخذ الرواية في هذه الرؤية صفات الحوار وتكون تجسيدا له، أي كتابة ديمقراطية إن صح القول تتعامل مع الإنسان الاعتيادي الذي لا معجزة لديه ولا ينتظر خوارق قادمة. ولأنها على ما هي عليه يكون المبدأ الحواري قواما لها. إن تطور الرواية يقوم على تعميق الحوارية وتوسيعها وإحكامها وبذلك يتقلص عدد العناصر المحايدة، الصلبة التي لا تدرج في الحوار فيتغلغل الحوار في نهاية المطاف إلى أعماق الجزيئات وأخيرا إلى أعماق الذرات في الرواية(١٧).

الرواية الحوارية، وهي تعبّر عن مجموع أفكار الشخصيات، تدخل صوت الكاتب في إطار صراع مجموع الرؤى، وبهذا تحقق الوعي الشمولي بالواقع؛ لأنها تمنح كثيراً من الحرية داخل النص الروائي، وتلبي جميع أذواق القراء؛ لأن كل فرد يجد فيها ميولاته.

تهيمن في الرواية الديالوجية تعددية الأصوات والأساليب، وأنماط الوعي والأيديولوجيات، وأنَّ آراء الكاتب نفسها توضع في مقابل آراء الشخصيات بحيث لا تمتلك امتيازا خاصا، ولا دورا منظما، وإنما تصارع هي

نفسها آراء الآخرين فتنهزم تارة أو تنتصر أخرى، ولكنها لا تحصل في جميع الأحوال على الغلبة التامة وتبقى الرواية حتى عند نهايتها مجرد عرض لصراع الآراء والأفكار والأيديولوجيات[١٨]، ولكي تكون الرواية حوارية، لابدَّ أن تتجلى فيها أيضا ثلاث مستويات:

أ- التهجين: أي مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، والتقاء وعيين لغويين مفصولين داخل ساحة ذلك الملفوظ، ويلزم أن يكون التهجين قصديا[١٩]. نفهم أن التهجين هو عملية مزج للغتين اجتماعيتين في كلمة واحدة المسماة "الكلمة المزدوجة" الحاملة لوعيين متحاورين في نطاق السياق الواردة فيه، وقد تكون رواية لأنها مضيف ودود، تستقبل عددا هائلا من مختلف الأجناس التعبيرية تدمجها في سياقها، لذا يمكن القول عنها أنها جنس مركب من خطابات متراكبة سواء أكانت صافية أم هجينة، أي لغة فصحى أم لهجات اجتماعية. ويشترط باختين في التهجين أن يكون فرديا وواعيا وقصديا بغية إضاءة الوعي اللساني للغة على الأخرى.

ب . العلاقات المتداخلة ذات الطابع الحواري بين اللغات/الأسلبة:

أي قيام وعي لساني معاصر بأسلبة مادة لغوية "أجنبية " عنه، يتحدث عن طريقها عن موضوعه[٢٠]، أي تشخيص الكاتب لأسلوب لساني لدى الآخرين، وهو بهذا يعيد خلق الأسلوب المؤسلب. بحيث نلمس وراء لغة هذه المقاطع لغات أخرى متخفية قد تكون لغة القدماء، فوظيفة الكاتب المُؤَسلب هو أسلبتها أي نقلها بشرط في حلة جديدة، على شكل آني يمثله الملفوظ الذي أتى به داخل المقطع السردي. وبذلك تُصبح اللغة "محينة" وهي في هذا الملفوظ تحمل في أحشائها لغات متوارية لكن علامات وجودها ظاهرة في صورة اللغة.

ت . الحوارات الخالصة:

أي الحوار الخارجي يجري التعبير عنه بطريقة إنشائية، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالحوار الداخلي، وكلا هذين الحوارين مرتبطان بحوار الرواية الكبير[٢١]. في حديث ميخائيل باختين عن الحوار استند لمدى فهم الوعي عند الشخصية الروائية، فنلحظ أن في كلّ مرة تلتفت إلى الآخر وتتوجه إلى نفسها حاملة لها علامات استفهام، ولا تفهم نفسها إلا باللجوء إلى الشخص الملتفت إليه، أي عن طريق العالم الخارجي، وهكذا يتكون الحوار الحواري داخل العمل الروائي.

نفهم مما تقدّم أنَّ الحوارية في الرواية - كما جاء بها باختين- لا تنحصر فقط في التهجين، والأسلبة، والحوارات الخالصة، بل فضلا عن ذلك نجدها أيضا في استحضار النص الروائي لنصوص أخرى، فتنشأ علاقة تفاعل بينهما، وهذا ما يعمل على خلق تعددية اللغات التي تتعايش مع بعضها بعضا، وبذلك فإننا لا نجد في الرواية نصا متسلطا، بل نجد عدة أصوات لنصوص تقوم في أساسها على التحاور.

ونجد كذلك في النص الروائي عدة أصوات، يكون صوت المؤلف واحدا من ضمن هذه الأصوات، أي لا نلمس في الخطاب الروائي وجودا للصوت المتسلط - صوت المؤلف- بل يشمل تعددية صوتية، يحاور بعضها بعضا لرصد البعد الحواري، وبهذه الطريقة يتحقق الوعي الشمولي بالواقع.

ثالثاً: الحمولات النقدية لمصطلح الحوارية :

كتب ميخائيل باختين عن الحوارية وأحاط المصطلح بجملة من آراء نقدية في كتاباته نذكر: (الكلمة في الرواية)[٢٢]، (الماركسية وفلسفة اللغة)[٢٣]، (الخطاب الروائي)[٢٤]، (شعرية دوستويفسكي)[٢٥]، وقام "تزفيطان تودوروف" بدراسة حول ما جاء به باختين في كتابه: (ميخائيل باختين -المبدأ

الحـواري)[٢٦]. وتعـد الحواريـة مـن النظريـات الـتي عُـني بهـا النقـد الغربـي وطوّرها فيما بعد إلى ما اصطلح عليه بـ:(التناص). وعُني بها أيضا النقد العربي فنقلها إلى سياقه، وسنحاول معاينة هذه العناية عن طريق الآتي:

أ. تطور مفهوم الحوارية وتباين المواقف النقدية الغربية:

تُعدُّ مؤلفـات ميخائيـل بـاختين اللبنـة الأولى والأسـاس الـتي ارتكـزت عليها البلغارية "جوليا كريستيفا" لبناء مفاهيمها حول التناص، لـذلك نجدها تدين في أكثر من مناسبة بفضل الإرث الباختيني في استحياء هذا المصطلح، فالـذي أسـهم بـالتعريف بـه في المحيط النقـدي بخاصـة هـو تعليقهـا علـى أفكـار بـاختين حـول الحواريـة في مؤلفهـا (سميـوتيكي) الصـادر سـنة ١٩٦٩م، وقبـل هذا كانت قد نشرت مقالتين في مجلة (TEL QEL) ظهرت "الأولى عام ١٩٦٦، وحملـت العنـوان الآتـي: "الكلمـة، الحـوار، الروايـة" واحتـوت علـى أول استعمال للمصطلح ،حملت المقالة الثانية عنوان "النص المغلق" ١٩٦٧ وقامت بتحديـد أكـبر للتعريـف، "تقـاطع بلاغـات في نـص مـا مـأخوذ مـن نصـوص أخرى"، "تعديل نصوص سابقة أو متزامنة"[٢٧].

وهنـا إشـارة واضـحة إلى المفـاهيم الـتي قـدمها بـاختين حـول استحضـار النص لخطابات أجنبية سابقة أو متزامنة معه، وهذا ما يسهم في تعددية اللغات داخـل الـنص الواحـد، فيتفاعـل الكـل مـع بعضـه للمشـاركة في تشـييد الحـوار الكبير للرواية، انطلاقا من أن مصطلح التناص عند " جوليا كريستيفا" يظهر في إشكالية الإنتاجية النصية، أي أنه عملية إدماج نصوص ماضية وإعادة خلقها في نص جديد بالاستناد إلى عملية التحويل، لإنتاج بعد فكري، وآخر جمالي هما خلاصة تفاعل فني تتفاوت حدته من نص إلى آخر، ومن ثَمَّ ما قامت به "جوليا كريستيفا"، هو نقل المصطلح من قول بـاختين بتسميته "الحوارية"، إلى تسميتها "تناص"، والتعريف بمصطلحها الجديد يحمل في بذوره أفكار بـاختين حول الحوارية.

اتّسع أفق هذا المفهوم بعد "كريستيفا" عند عدد كبير من النقاد فعلى الرغم من ما لقاه من قبول لديهم إلا أن مفهومه اختلف وتباينت آراؤهم، ويعود ذلك إلى اختلاف مفهوم النص لديهم، وسنحاول في عجالة إبراز تعدد مفاهيمه في الساحة النقدية:

انطلق" تزتيفان تودوروف "من الإرث الباختيني في فهمه للتناص، لكنه ينتصر للتناصية بوصفها مكونا فاعلا في عمليات الاتصال بين المعنى اللامباشر في الخطاب والمرجع، واستهدى إلى اللوائح المرشدة التي توحي بوجود نص سابق في النص اللاحق وذلك عند دراسة نص من النصوص.أمَّا "جيرار جنيت" فيعود الفضل له في تطوير المصطلح، فعنْ طريق كتابه (طروس) يتوسع في إبراز شاعرية النص، فيرى أن التعددية النصية هي الفاعل الأول في توليد شاعرية النص، ويقول أن التناص قد يكون بين علاقة نص بآخر وفي أحيان أخرى يكون في علاقة نصين أو أكثر، ووضع خمسة تقسيمات هي: التناص، ما حول النص، شرح النص، الاشتقاق النصي ،أصل النص. وتكون هذه العلاقات النصية متعددة مما يجعل منها مفهوما محسوسا بشكل أكبر. ونجد "ميشال ريفاتير" عن طريق كتابه (إنتاج النص) أنه ركز في فهمه للتناص على الجوانب البلاغية واللغوية، وعُني بالقارئ حين جعله محورا مهما في فهم العملية التناصية، فالشاعر لا يستطيع صياغة عباراته صياغة شاعرية إلا إذا أوضح للقارئ أن كلماته مستوحاة من كلمات سابقة، فتوالد النصوص الشعرية من نصوص سابقة هي الصورة الأصل للشعر، والقارئ النموذج هو المتمكّن من فهم الوقائع البلاغية والنحوية، ولذلك ففهمه لا يخرج عن إطار القبول. أما "لوران جيني" هو أحد أعضاء الندوة العالمية للشعرية الذي يرى أنَّ كل نص خارج التناص غير قابل للفهم والإدراك، وعُني بالنص الغائب كونه القوة التي يستمد منها النص الحاضر وجوده، ويكتسب منها معناه، ولهذا عدَّ التناص هو المزية الفريدة للنص الأدبي، وقال

بوجوب توسيع التبادل والتفاعل بين النص الأدبي واللاأدبي. في حين اعتمد "رولان بارت" في مقاله (نظرية النص) على ما نسجته "كريستيفا"، فتبنى مصطلحاتها، ويرى أنَّ النص الغائب في تشكيله للنص المكتوب يقتسم معه هالته الروحية ويضمن له استقراره، ويرى أن للمتلقي - في ما يفكه من شفرات للنص عن طريق ذاكرته- دوره في بناء مفهوم التناص، ويعدّه أحد ركائزه فضلا عن النص. وبهذا فقد نادى بموت المؤلف لينفي تفرده بالإبداع وأشرك القارئ في تفسيره للنص، هذا الأخير الذي جعل بينه وبين الاقتباس علاقة تفاعل، ففي كتابه (لذة النص) يرى أن النص الجديد هو وليد الاقتباسات الماضية، وأن نص التناص يستحيل أن يعيش خارج النص اللامتناهي.

إن هذه الآراء المتباينة والمواقف المتعارضة لمفهوم التناص جعلته ذا حدود غير واضحة يصعب وضعه في تعريف واحد متفق عليه، فالمعترف به - في الوسط النقدي- أن النص لا ينشئ من العدم، فملامح النصوص الأخرى تشي بوجودها فيه عبر أشكال عدة، أمّا في ما نقوله هو أن القارئ المتمرس ذا الخبرة العالية والثقافة الواسعة وحده يستطيع الكشف عن التناص في النص الأدبي، واستنطاق معانيه بحذاقة وتمكن.

ب . تلقي النقد العربي لمصطلح الحوارية:

على الرغم من الأهمية القصوى التي تمتاز بها كتابات باختين، وعلى الرغم من أنها من مواليد العشرينات ،إلا أنه لم يلتفت إليها في سياقها الثقافي النقدي الأصلي إلا في سنوات الستينات، ولم تصل إلى الثقافة العربية إلا في بداية الثمانينات، فمن الدراسات العربية التي تناولت النظرية الحوارية، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:(التفاعل النصي التناصية -النظرية والمنهج-)، لـ"نهلة فيصل أحمد[٢٨]، (المتخيل في الرواية الجزائرية) لـ"آمنة بلعلى"[٢٩]، (أسئلة الرواية أسئلة النقد)، لـ"محمد برادة"[٣٠]، (تداخل النصوص في الرواية

العربية)، لـ"حسن محمد حماد"[٣١]، (انفتاح النص الروائي-النص والسياق)، لـ"سعيد يقطين"[٣٢]، (النقد الروائي والأيديولوجيا، من سوسيولوجية الرواية إلى سوسيولوجية النص الروائي)، لـ"حميد لحميداني"[٣٣].

أمّا في ما نُقل من أعمال باختين إلى السياق الثقافي العربي فكان عن طريق عملية الترجمة ،التي هي التفاعل القائم بين المُترجِم والمُترجَم والمترجم له، فترجم "جميل نصيف التكريتي"عن الروسية كتاب (شعرية دوستويفسكي) وراجعته الدكتورة "حياة شرارة"، والملاحظ عن هذه الترجمة أنها خالية من المقدمة، وأما متنه على ما يحمله من لغة بسيطة ،إلا أنه يظل خاليا من أي هامش يساعد المتلقي على استوعاب المفاهيم الأجنبية، ويعينه على الفهم الصحيح للنص، فالترجمة هنا جاءت من منظور مهني لا معرفي إذ غاب تفاعل المترجم مع النص الأصلي وهذا يعود بالتلقي السلب على القارئ.

وفي موضع آخر ترجم "محمد برادة "كتاب (الخطاب الروائي)، وترجم "يوسف الحلاق" الكتاب نفسه لكن بعنوان مغاير هو (الكلمة في الرواية)، وترجم "جمال شحيد" كتاب (الملحمة والرواية)، ونجد لـ"تودوروف" كتابا درس فيه الحوارية عند باختين معنون بـ(باختين: المبدأ الحواري) الذي ترجمه عن الانجليزية "فخري صالح "، و(نقد النقد) الذي ترجمه عن الفرنسية "سامي سويدان".

إذاً فالسبب وراء محدودية تلقي العرب لكتابات باختين وعدم فهمها في وقت مبكر يعود إلى عدم متابعة الناقد العربي لأطروحات باختين، وعدم مراقبة سلوك المترجم الذي كثيرا ما يدخل الجانب الذاتي في ترجمته ولا يتفاعل مع النص الأصلي فيأتي العمل أصم، فالنقد هو الذي يعدل المادة ويقومها بملحوظاته، ويكمن جوهر وظيفته في توجيه الكاتب وتحسين ذوق

المتلقي، لكن النقد العربي تغاضى عن هذا الفعل وسمح للترجمة الأدبية أن تمارس كمهنة وليس كعمل فني تفاعلي يتم بين المترجم والنص الأصلي.

خامساً: فضل المعطيات الحوارية في التعريف بصورة اللغة في الرواية الجديدة:

الرواية الحوارية هي نفسها الرواية الديالوجية "DIALOGUE"، ومتعددة الأصوات هي نفسها البوليفونية"POLIPHONIE"، هذا التعدد للمسمّى الواحد هو نتاج عمليات الترجمة المتباينة، فكلها مصطلح واحد يدل على النظرية الحوارية التي جاء بها ميخائيل باختين، يقول "جميل حمداوي": "يقصد بالبوليفونية (poliphony/Poliphonie) لغة تعدد الأصوات، وقد أخذ هذا المصطلح من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الأدب والنقد. ومن ثَمَّ فالمقصود بالرواية البوليفونية تلك الرواية التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاورة، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الأيديولوجية. بمعنى أنها رواية حوارية تعددية"[٣٤]، وفي النهاية هي الرواية التي فيها أبطال عديدون من كل أطياف المجتمع بعكس الرواية التقليدية التي فيها بطل واحد مهيمن، تطورت هذه المفاهيم عند باختين للتعريف بالرواية الجديدة التي تتشابك فيها الأحداث والشخصيات بعكس الرواية المونولوجية التي تُعنى بحالة نفسية فردية.

فعلى الباحث الذي يريد الكشف عن تموقع صورة اللغة في رواية الجديدة أن يستعين بالمعطيات الحوارية، فالنقد الروائي أدرك أن صورة اللغة في الرواية الجديدة تتأسس على طابع التعددية اللغوية وما تستثيره من خصوصيات كلامية وتشابكات لغوية. وبوصفها مكونا جوهريا للكتابة الجديدة، فهي تخلق تفاعل بين أنماط الوعي والإيديولوجيات داخل الخطاب الروائي وتسمح للنظرة الشمولية للعالم بالبروز، وتكشف مجموع الرؤى

المعبرة عنها بالكلمة الحوارية التي تجسد الموقف الاجتماعي وبهذا ينتج صوتان متحاوران في الكلمة الواحدة، وهو ما يُحقق مفهوم الحوارية في الرواية، التي ينظر إليها باختين أنَّها تُعبّر عن الواقع بالدرجة الأولى، وما يحقق شموليتها هو احتواؤها على التهجين والعلاقات المتداخلة بين اللغات والحوار. وبذلك فإنَّ ما يُعرّف بصورة اللغة في الخطاب الروائي الجديد هو ميزة التعددية اللغوية التي يحتويها.

خاتمة:

بعد هذا التوصيف الذي عرضنا فيه الحوارية في الرواية، يجدر ختاما توضيح ما جاء به ميخائيل باختين في هذا الشأن، عن طريق هذه النتائج والملاحظات التي سنوردها في السطور الموالية:

أولاً: يورد باختين مفهوم الوعي الفردي في دراساته، ويرى أنَّه يتشكل على وفق تعدد الأفكار وتحاورها، وهذا ما يخلق اللغة المعبرة عن الأيديولوجية، بحيث أن كل فعل كلامي يوحي بالوعي الخاص به، وتكون الكلمة هنا هي الوسيلة المعبرة عن الفعل الأيديولوجي، بحيث كل كلمة توحي بنمطية العلاقات الاجتماعية.

ثانياً: المظهر اللساني هو امتداد للطبيعة الاجتماعية، وهو ما نعتمد عليه حين نستنطق الرواية الحوارية من هذا الجانب، أي أنه لكي نفهم البنية الأدبية للرواية - من منظور باختين - لابدَّ من الاعتماد على لغتها التي تستعمل الكلمة أداةً لتجسيد الموقف الاجتماعي، أي نفهم أن الرواية هي مزيج بين ما هو فني وما هو أيديولوجي، ولمقاربتها لا بد من استنطاق الجانب الجمالي "الأسلوبية الفنية" والإيديولوجي كليهما معا.

ثالثاً: يشير باختين في دراسته لحوارية أعمال "دوستويفسكي" أنه في كل قول تعيش صراعات نفسية داخلية، اكتسبتها في الأصل من الواقع

الاجتماعي، وأن عملية الحوار تكشف عنها؛ لأنها تضمن لها الصيرورة الاجتماعية.

رابعاً: عدَّ باختين أقوال المؤلف واحدة من ضمن باقي أقوال الشخصيات الأخرى، وهنا يؤكد على عدم وجود صوت متسلط، بل توجد عدة أصوات كل صوت على صلة بالوعي الآخر، يُدمج مع صوته ويحاوره، وبهذا ينتج صوتان متحاوران في الكلمة الواحدة، وهذا ما يشير إليه باختين في قوله: "لا يوجد تعبير لا تربطه علاقات بتعبيرات أخرى"، وهو ما يقصده أيضا أن "الأسلوب هو رجلان، أي الرجل ومجموعته الاجتماعية"، وهذا ما يحقق بالطبع مفهوم الحوارية في الرواية، والتي ينظر إليها باختين أنها تعبر عن الواقع بالدرجة الأولى، وما يحقق شموليتها هو احتوائها على التهجين والعلاقات المتداخلة بين اللغات أو الأسلبة وأخيرا الحوارات الخالصة.

خامساً: يمكن الأخذ بمنهج أجنبي وتطبيقه على نصوص عربية، وهذا بغية التأكد أن النص السردي بمكوناته الخطابية أخذ طابع العالمية، ويمكنه استيعاب المنهجية العلمية، ويمكن استنطاق نصوصه على وفق ما يمليه خطابه، أي الاكتفاء بالنظر إلى العمل الأدبي على أنه لغة ذات بناء مستقل له قوانينه وضوابطه المكتفية بنفسها، ويمكن أن تدرس دراسة علمية ممنهجة.

سادساً: إذا كانت الرواية التقليدية تنادي الالتزام بالأحادية في بنيتها النصية ذات اللغة الواحدة الخاضعة في بسط حكايتها لسلطة كاتبها ذي الأسلوب الواحد والوعي المفرد، فإن ميخائيل باختين بحواريته نظّر للرواية الجديدة التي تنبني على التعددية عبر كافة مشكلاتها السردية بسبب تعدد الشخصيات والخطابات والوعي، وتعدد الأصوات واللغات والرؤى، ممّا سمح لها أن ترتبط أكثر بالواقع وتعبر عن تناقضاته وتشظيه.

هوامش البحث:

(١) ينظر: عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥، ١٩٩٣، ص١٢٧.

(٢) ينظر: عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٨،ص٢٧٠ ،٢٧١.

(٣) ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة،تر محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ط١، د.ت، ص٣٠ .

(٤) ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، تر نصيف التكريتي،مر حياة شرارة، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء المغرب، د.ط، د.ت، ص ٩٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٩٦.

(٦) ينظر: حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)،مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب - د.ط،د.ت،ص٧٨ ،٧٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه،ص ٤٨ ،٤٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٨ ،٤٩.

(٩) ينظر: فاضل ثامر، اللغة الثانية: (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي)،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤،ص١٣٥.

(١٠) نهلة فيصل أحمد: التفاعل النصي التناصية (النظرية والمنهج)،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة، د.ط، ٢٠١٠، ص ١٠٦.

(١١) يخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،القاهرة، ط١، ١٩٨٧،ص ٨٩.

(١٢) حميد لحميداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)،منشورات سال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩، ص٩١ ،٩٢.

(١٣) تودوروف تزيفتيان: ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)، تر: فخري صالح،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢،١٩٩٢، ص١٢٤.

(١٤) المصدر نفسه، ص١٢١.

(١٥) الحوارية مفهوم يستعمله الناقد الروسي باختين للإشارة إلى علاقة الاستجابة والتبادل بين القارئ والنص، عبر المفردات التي تُعدُّ علامات أيديولوجية تصنع بطريقة معينة حوارا مع الآخر، تجعله يدخل بسياقه الخاص في سياق آخر تتقاطع فيه الرؤى المختلفة للعالم. سمير حجازي: المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة (فرنسي عربي/ عربي فرنسي)، دار الراتب للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، د.ط، د.ت، ص ٢٠٧.

(١٦) شرفي عبد الكريم:مفهوم التناص (من حوارية ميخائيل باختين إلى أطراس جيرار جنيت)،دورية دراسات أدبية،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة -الجزائر- ع٢، جانفي ٢٠٠٨، ص٧٠.

(١٧) ينظر: فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، ط٢، ٢٠٠٢، ص٧٠.

(١٨) ينظر: حميد لحميداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)،ص٤٣.

(١٩) ينظر: ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، ص ١٨.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨.

(٢١) ينظر: ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي،تر نصيف التكريتي،مر حياة شرارة، ص ٢٩٨ -٣٨

(٢٢) ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، تر حلاق يوسف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط،١٩٨٨م.

(٢٣) ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة،تر محمد البكري ويمنى العيد.

(٢٤) ميخائيل باختين: الخطاب الروائي،تر محمد برادة .

(٢٥) ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي،تر جميل نصيف التريكي،مر حياة شرارة.

(٢٦) تزيفتيان تودوروف: ميخائيل باختين ـ المبدأ الحواري، ترفخري صالح .

(٢٧) تفيين ساميل: التناص ذاكرة الأدب، تر نجيب غزاوي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،د.ط،٢٠٠٨، ص:٩،٨.

(٢٨) نهلة فيصل أحمد: التفاعل النصي التناصية (النظرية والمنهج)،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة،د.ط،٢٠١٠م.

(٢٩) آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)، دار الأمل، الجزائر، د.ط، د.ت.

(٣٠) محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد،منشورات الرابطة، الدار البيضاء - المغرب،ط١، ١٩٩٩م.

(٣١) حسن محمد حماد: تداخل النصوص في الرواية العربية (بحث في نماذج مختارة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، د.ط، ١٩٩٨م.

(٣٢) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢٠٠١،٢م.

(٣٣) حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجية الرواية إلى سوسيولوجية النص الروائي)، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ١٩٩٩م.

(٣٤) جميل حمداوي: الرواية البوليفونية أو الرواية المتعددة الاصوات، http://www. alukah.net/Literature.Language/0/39038/ ، (٢٩ ماي ٢٠١٦م)، ص١٠.

المصادر والمراجع

- العروي عبد الله: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥،١٩٩٣.
- باختين ميخائيل: الماركسية وفلسفة اللغة،تر محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، د.ت.
- باختين ميخائيل: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.
- باختين ميخائيل: شعرية دوستويفسكي، تر نصيف التكريتي،مر حياة شرارة، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ـالمغرب ـ، د.ط، د.ت.

- دراج فيصل: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، ط٢، ٢٠٠٢.
- حجازي سمير: المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة (فرنسي عربي/ عربي فرنسي)، دار الراتب للنشر والتوزيع، القبة ـ الجزائر، د.ط، د.ت.
- حمداوي جميل: الرواية البوليفونية أو الرواية المتعددة الاصوات، http://www. alukah.net/Literature.Language/0/39038/،(٢٩ ماي ٢٠١٦م).
- لحميداني حميد: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـالمغرب ـ د.ط،د.ت.
- لحميداني حميد: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)،منشورات سال،الدار البيضاء،ط١، ١٩٨٩.
- ساموبل تفيين: التناص ذاكرة الأدب،تر نجيب غزاوي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،د.ط، ٢٠٠٨.
- عيلان عمر: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٨.
- فيصل أحمد نهلة: التفاعل النصي التناصية (النظرية والمنهج)،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة، د.ط، ٢٠١٠.
- شرفي عبد الكريم: مفهوم التناص (من حوارية ميخائيل باختين إلى أطراس جيرار جنيت)،دورية دراسات أدبية،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة ـ الجزائر ـ ع٢، جانفي، ٢٠٠٨.
- تزيفتيان تودوروف: ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)،تر فخري صالح،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط٢،١٩٩٢.
- ثامر فاضل: اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي)،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤.

JOURNAL
of Ash-Sheikh At-Tousy University College

A Refereed Quarterly Journal

First year
No.3

ISSN
2304-9308